الفصل الثـانى :

وسـئل عن النفخ ؟

فقال رحمه الله : النفخ : عبارة عما اشتعل به نور الروح فى فتيلة النطفة . وللنفخ صورة ونتيجة . أما صورته : فإخراج الهواء من جوف النافخ فى جوف المنفوخ فيه ، حتى يشتعل الحطب القابل للنار .

فالنفخ سبب للاشتعال ، وصورة النفخ الذى هو سبب فى حق الله – تعالى – محال ، والمسبب غير محال . وقد يكنى بالسبب عن الفعل الذى يحصل المسبب على سبيل المجاز ، وإن لم يكن الفعل المستعار له على صورة الفعل المستعار منه . كقوله – تعالى – : ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾[٢] . وكقوله : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[٣] .

والغضب : عبارة عن نوع تغيير فى الغضبان ، يتأذى به ، ونتيجته إهلاك المغضوب عليه بالغضب . فعبر عن نتيجة

---

(٢) من الآية : ١٤ من سورة المجادلة ، ومن الآية : ١٣ من سورة الممتحنة .

(٣) من الآية : ١٣٦ من سورة الأعراف ، ومن الآية : ٧٩ من سورة الحجر ، ومن الآية : ٢٥ من سورة الزخرف .

الغضب بالغضب ، وعن نتيجة الانتقام بالانتقام . فكذلك عبر عن نتيجة النفخ بالنفخ ، وإن لم يكن على صورة النفخ .

فقيل له : فما السبب الذى به اشتعل نور الروح فى فتيلة النطفة ؟

فقال : هو صفة فى الفاعل ، وصفة فى القابل ، أما صفة الفاعل ، فالجود الإلهى الذى هو ينبوع الوجود ، وهو فياض بذاته على كل ماله قبول الوجود حقيقة وجودها على كل حقيقة . ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة . ومثالها : فيضان نور الشمس ، على كل قابل للاستنارة ، وهى المتلونات ، دون الهواء الذى لا لون له .

وأما صفة القابل ، فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية كما قال : « سَوَّيْتُهُ » .. ومثال صفة القابل : صقالة الحديد . فإن المرآة التى ستر الصدأ وجهها لاتقبل الصورة ، وإن كانت محاذية للصورة .

وإذا اشتغل الصيقل بتصقيلها ، فكما حصلت الصقالة حدثت فيها الصورة من ذى الصورة المحاذية لها .

فكذلك إذا حصل الاستواء فى النطفة حدث فيها الروح من خالق الروح ، من غير تغير فى الخالق . بل إنما حدث الروح الآن لاقبله لتغير المحل ؛ لحصول الاستواء الآن لا قبله .

كما أن الصورة فاضت من ذى الصورة على المرآة فى حكم الوهم ، من غير تغير حدث فى الصورة ، ولكن كان لا يحصل من قبل ، لا لأن الصورة غير مهيأة لأن ينطبع فى المرآة ، لكن لأن المرآة لم تكن صقيلة قابلة .

فقيل : فما الفيض ؟

فقال رحمه الله : لا ينبغى أن تفهم من الفيض ماتفهم من فيضان الماء من الإناء على اليد . فإن ذلك عبارة عن انفصال جزء مما فى الإناء ، واتصاله باليد . بل افهم منه ماتفهمه من فيضان نور الشمس على الحائط . لقد غلط قوم فى نور الشمس أيضاً ؛ فظنوا أنه ينفصل شعاع من جرم الشمس ، ويتصل بالحائط ، ويبسط عليه وهو خطأ . بل إن نور الشمس سبب لحدوث شيء يناسبه فى النورية ، وإن كان النور أضعف منه فى الحائط المتلون ، كفيضان الصورة على المرآة من ذى الصورة ، لا بمعنى انفصال جزء من صورة الإنسان ، بل صورة الإنسان سبب لحدوث صورة تماثلها فى المرآة القابلة لمحاذاة الصورة . وليس فيه انفصال واتصال إلا السببية المجردة ، فكذلك الجود الإلهى ، سبب لحدوث أنوار الوجود فى كل ماهية قابلة للوجود ، فيعبر عنه بالفيض ..